บทความวิจัย

เสถียรภาพในวิธีทางของท่านศาสดา: ด้วยหลักวะสะฏียะห์ที่มีต่ออารยธรรม

*มูฮำหมัด สะมาโระ**

บทคัดย่อ

การศึกษาทางภาษาศาสตร์และหลักวิชาการของคำว่า (หลักสูตรหรือโปรแกรม) ด้วยวิธีการตามแบบฉบับของท่านศาสดา นั่นคือวิถีชีวิตของชาวมุสลิมไม่ว่าจะเป็นนักนิเทศศาสนา นักวิชาการ หรือหัวหน้าครอบครัว เป็นต้น เป็นสาเหตุที่นำไปสู่การศึกษาวิจัยในแบบฉบับดั่งเดิมของศาสดา และการเกิดความเคลือนแคลงเข้าใจผิดที่ทำให้เกิดความขัดแย้งในหลักการ ความสำคัญการวิจัยในหลักสูตรแนวทางของท่านศาสดาเพื่อให้รู้ถึงความเป็นซุนนะฮฺในการใช้ประโยชน์ด้วยหลักการ สถานการณ์ ประวัติศาสตร์ ข้อจำกัดของเวลาสถานที่หรือการเปลี่ยนแปลงทางสังคมและเศรษฐกิจ โดยอาศัยการศึกษาถึงชีวประวัติของท่านศาสดาเป็นตัวอย่างในการฟื้นฟูทั้งความสามารถและจิตวิญญาณ ระเบียบวิธีวิจัยในแผนกการศึกษาวิเคราะห์ทางประวัติศาสตร์ของท่านศาสดาและข้อเท็จจริงระหว่างประเพณีและความทันสมัย.

การวิจัยนี้มีจุดมุ่งหมายต่อไปนี้:

(1) เพื่อศึกษาถึงปัญหาที่อาจเกิดขึ้น ระหว่างหมู่หลักสูตรวิกฤตและวิกฤตของความเข้าใจในลักสูตร.

(2) ชี้แจงปัญหาและข้อความหลักฐานที่อาจเกิดขึ้น และความตระหนักของหลักฐาน.

(3) ความรู้เกี่ยวกับปัญหาและความคล้ายคลึงกันอาจเกิดขึ้น

(4) แจ้งปัญหาและการเชื่อมต่ออาจเกิดขึ้น

(5) ศึกษาปัญหาและความต้องการที่มีศักยภาพสำหรับมุมมองทางวัฒนธรรมและโอกาสสำหรับสร้างสันติในยุคสมัย

ผลการศึกษาสรุปได้ดังนี้:

(1) ความสำคัญของการทำงานเชิงกลยุทธ์ที่สำคัญ ถือเป็นการตั้งจิตสำนึกของประเทศชาติมุสลิม.

(2) ความสำคัญของประชาชาติมุสลิม คือ วิธีการใฝ่หาความรู้ ด้วยการศึกษาทางอารยธรรมสู่การเป็นพื้นฐานในหลักสูตร.

(3) การให้ความสำคัญในการบูรณาการวัฒนธรรมการศึกษาสังคมมุสลิม

(4)) ความสำคัญที่จะต้องให้มุสลิมมีการวางแผนพัฒนากลยุทธ์ระยะยาวด้วยการพัฒนาทรัพยกรมนุษย์และวัฒนธรรมโดยรวม.

(5) ความสำคัญของแนวทางประชาชาติมุสลิมในการสนับสนุนปฏิบัติที่เกี่ยวข้องกับการทำงานร่วมกันกับชุมชนและความสงบสุขของอารยธรรม.

คำสำคัญ: เสถียรภาพ, หลักสูตรวิธีการของท่านศาสดา, โพกัส, วะสะฏียะห์, อารยธรรม

* รองศาสตราจารย์ประจำสาขาวิชาอุศูลุดดี (หลักการศาสนาอิสลาม) คณะอิสลามศึกษาและนิติศาสตร์ มหาวิทยาลัยฟาฏอนี

Research

Stability on the Methodology of the Prophet: The Focus of the Message of Moderation to Testify Civilization

Muhammad Samaroh[*]

Abstract

Address search in a statement linguistic meaning of the word (Curriculum), and the concept of idiomatic word (methodology), and how the methodology of the Prophet is the approach life of a Muslim, whether preacher or teacher or head of the family ... etc; and thus contribute to research in warning reverse methodology Prophet, and falling into the passion and delusion, which contrasts with the perfection of faith. The importance of research in a statement curriculum Prophet's the opposite of the meaning of the Sunnah sense totalitarian, in terms of the practical application of the law, and lowered to the events of history in the temporal and spatial framework, social and economic, the variable advanced, which represents the Biography of the Prophet model feat for him, but a living example capable of being renewed in the spirit The diversity shape. The research methodology in his study desk objective historical analysis of the facts between tradition and modernity.

The research aims to the following:

(1) A statement of the potential problem and among the Curriculum Crisis and the Crisis of understanding of the Curriculum.

(2) Clarify the problem and potential inter- proof text and the realization of the text.

(3) Knowledge of the problematic and the potential similarities between and umpires.

(4) Inform the problem and the potential connection between the king approach and the methodology of the prophecy.

(5) Absorb the problem and the potential need for inter- cultural perspective and the prospects for the messianic role of the witness.

The study concludes the following results:

(1) The importance of demand pivotal strategic option, to consolidate and installation in the consciousness of the Muslim nation.

(2) The importance of hormesis Muslim nation the path of science and awareness and witnesses of civilization founded on methodological work.

(3) The importance of resettlement of Muslim cultural, educational, social and scientific work of the nation.

[*] Assoc. Prof. (Usuluddin), Department of Usuluddin, Faculty of Islamic Studies and Law, Fatoni University

(4) The importance of the Muslim Ummah planning Develop long-term strategies for human development and the overall cultural development.

(5) The importance of guiding the Muslim Ummah to support the practices relating to community cohesion and peace of civilization.

Key words: Consistency, The methodology of the Prophet, The focus, Moderation (Al-wasatiyah), Witness of civilization

الثّبات على المنهجيّة النّبويّة: محور الرّسَالة الوسطيّة للشّهادة الحضاريّة

محمد سماروه*

* الأستاذ المشارك بقسم أصول الدِّين، كليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والقانون، جامعة فطاني – جنوب تايلاند

ملخص

يتطرَّق البحث في بيان المعنى اللُّغَوِي لكلمة (**منهاج**)، وَ المفهوم الاصطلاحي لكلمة (**المنهجيَّة**)، وكيف أن المنهجيَّة النَّبويَّة هي منهج حياة المسلم، سواء أكان داعيةً أَوْ مُعلِّماً أَوْ رَبَّ أُسْرَة ... إلخ؛ وبالتالي يُسْهِمُ البحث في التَّحْذِيْرِ مِن العُدُوْلِ عَن المَنْهَجيَّة النَّبويَّة، والوُقُوْعِ في الهَوَى والضَّلال، الَّذي يَتَنَاقَض مَعَ كَمَال الإيمان.

وتكمن **أهمية البحث** في بيان المنهاج النّبوي المُقَابل لمعنى السُّنة النبويّة بمفهومها الشُّمولي، مِنْ حَيث التَّطبيق العَمَلي للشَّريعة، وإنزالَها على أحداث التّاريخ في الإطَارِ الزَّمَاني وَالمَكَاني، الِاجْتِمَاعِي وَالِاقْتِصَادِي، المُتَغَيِّر المُتَطَوِّر، الّذي تُمثِّل السِّيرة النبويّة نَمُوْذَجًا فذًّا له؛ لَكِن نَمُوْذَجًا حيًّا قَابلاً للتَّجَدُّد في رُوْحِه وإنْ تَنَوَّع الشَّكل.

و**منهجيّة البحث** في دِرَاسَتِهِ هي المَنْهَجيَّة المكتبيَّة الموضوعيَّة التأريخيَّة التحليليَّة لِلْوَقَائِعِ بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالمُعَاصَرَة.

و**يهدف البحث** إلى الآتي:

(1) بيان الإشكالية والإمكانيَّة فيما بين أزمة منهج .. وأزمة فَهْم للمنهج.

(2) توضيح الإشكالية والإمكانيَّة فيما بين إثبات النَّص.. وَإِعْمَال للنَّص.

(3) معرفة الإشكالية والإمكانيَّة فيما بين المتشابهات .. والمحكمات.

(4) إحاطة الإشكالية والإمكانيَّة فيما بين منهج المُلْك .. وَمنهج النُّبُوَّة.

(5) استيعاب الإشكالية والإمكانيَّة فيما بين ضرورة المنظور الحضاري .. وَآفاق الدَّور الرِّسالي الشَّاهِد.

و**يخلص البحث** إلى النتائج التالية:

(1) أهميَّة مطلب الخيار الاستراتيجي المحوري، للترسيخ والتثبيت في وَعْيِ الأمَّة المسلمة.

(2) أهميَّة إنهاض الأُمَّة المُسْلِمَة بطريق العلم والوعي والشّهود الحضاري المؤسَّس على العمل المنهجي.

(3) أهميَّة توطين الأُمَّة المُسْلِمَة على العمل الثقافي والتّربوي والاجتماعي والعلمي.

(4) أهميَّة تخطيط الأُمَّة المُسْلِمَة بوَضْعِ استراتيجيّات طويلة الأمد للتنمية البشريّة والتّنمية الحضاريّة الشّاملة.

(5) أهميَّة تَوْجيه الأُمَّة المُسْلِمَة إِلَى دَعْمِ المُمَارَسَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِتَمَاسُكِ المجتمع وَالسَّلاَمِ الحَضَارِي.

الكلمات المفتاحية: الثبات، المنهجيَّة النبويَّة، محور، الوسطيَّة، الشهادة الحضاريَّة

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

يقول الله ﷻ :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة المـــائدة : 48-49)

لقد اعتبر الله ﷻ العُدُول عَنْ مَنْهَجه، وَعَدَمِ الِالْتِزَامِ بِحُكْمِه، عُدُوْلاً عن الحَقّ، وَوُقُوْعاً فِي الهَوَى وَالضّلَال، وحذَّرَ الله ﷻ رَسُوْلَهُ ﷺ، والسَّائرين على طريق الاقتداء والتأسّي، من الفتنة التي يكون بها العدول عن بعض ما أنزل الله؛ ذلك أنَّ العُدُول عَنْ بَعْضِ المَنْهَجِ الرَّبَّانِي، عُدُوْلٌ عَن الكُلّ ..كمـــا أنّ التَّعديل في بعض جوانب المنهج الإلهي، هو عدول في حقيقة الأمر، وسقوط في عِلَلِ التديُّن، التي وقعتْ بها الأمم المـــاضية، من الإيمـــان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، وما لحق بها بسبب ذلك، من الخزي والسّقوط في الدّنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ (سورة البقرة : 85)، وقال رسول الله ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمـــا جِئْتُ بِهِ (ابن ابي عاصم، **السُّنة**، باب: ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لمـــا جاء به النبي ﷺ، ج1/ص12، رقم الحديث: 15).

والمنهجيّة النبويّة، في سيرته ﷺ في التّعامل مع الواقع، قد استوعَبَتْ، وَمَرَّتْ بالحالات كلّها، الّتي يمكن أنْ تعرض لها المجتمعات البشريّة بشكلٍ عام، والإسلاميّة بشكلٍ خاص، نهوضاً وسقوطاً، وحركة وركوداً، وامتلكتْ الحلول والإجابات الكاملة، لأصول المشكلات الإنسانيّة والاجتمـــاعيّة، وكيفيّات التّعامل، وإلاّ كيف اسْتَحَقَّتْ هذه المنهجيّة أن تكون خالدة، وأن يكون صاحبها محلّ الأسوة والاقتداء ؟!

إنّ العَوْدَة إلى بعض مراحل السّيْرَة، فيمـــا قبل الاكتمـــال والكمـــال، للمجتمع القدوة، ومحاولة الاستضاءة بها، لِحَلِّ الـــمُشْكِلاَت الـــمُشَابِهَة، مِنْ وَاقِعِ المجتمع، واستطاعته، لا تعني هنا النُّكُوص وَالتَّرَاجُع، بمقدار ما تعني المراجعة للواقع، وظروفه، واستطاعته، والنّهوض به، فِي ضَوْءِ الرُّؤْيَةِ الشَّامِلَة، لِـــمَسِيْرَة مُجْتَمَعِ القُدْوَة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (سورة النّساء : 66)

مدخل

جاء في (صحيحِ البُخاريِّ) –في مُعلَّقاتِه–: قال ابنُ عباسٍ:"﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي: سَبيلًا وسُنَّةً" (البخاري، **الصحيح**، باب الإيمـــان، وقول النبي ﷺ: بُنِي الإسلام على خمس؛ بصِيْغَةِ التَّعليق).

فَـــــــ (المنهاجُ) –إذًا–: الطَّريقُ الوَاضِحُ، ويُقالُ: (استَنْهَجَ الطَّريقُ) –كمـــا هو قول: (أنهجَ الطَّريقُ)؛ لازمَه– و(استَنْهَجَ الطَّريقُ)؛ لازمَه؛ أي: صارَ نَهْجًا.

وقال رسول الله ﷺ – ذات مرَّة- لأَحَدِ صَحَابَتِه: رَأَيْتَ خَيْرًا .. أَمَّا الْمَنْهَجُ الْعَظِيمُ فَالْمَحْشَرُ (أحمد بن حنبل، **المسند**، برقم: 23790).

وَعَن العَبَّاسِ رضي الله عنه قال: "وَ اللهِ؛ مَا مَاتَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى تَركَ السَّبيلَ نَهْجًا وَاضِحًا" (الدّارمي، **السنن**، باب: في وفاة النبي ﷺ، برقم: 84)

وحولَ كلمةِ (مَنهَج)، وَأَصْلِها اللُّغَويِّ- فِي كتبُ اللُّغةِ؛ كـــ لِسَان العَرَب (ابن منظور، **لسان العرب**، ج14/ص 366) .. وغيره؛ بخُلاَصَةِ القَول: إنّ أصلَ كلمةِ (المنهَج): تُطلَقُ –في لُغَةِ العَرب- على الطّريق، أو السُّلوكِ، لكن هذا الطّريقُ، وهذا السُّلوك –أو المسلَكُ- له صِفاتٌ: أنَّها واضِحة .. أنَّها ظاهِرةٌ .. أنَّها مُستقيمةٌ .. أنَّها بيِّنة. لا يمكن أن يُقال: (منهَج) –في أصلِ الأمْر-؛ إلاّ إذا كان هذا مَعناه، وهذا حقيقَتُه.

أمَّا (المنهج) في القُرآنِ؛ فقد ذَكرَ الطبريُّ في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ قال: "وَالشِّرْعَةُ: هِيَ الشَّرِيعَةُ بعَيْنِهَا. وَأَمَّا الْمِنْهَاجُ فَإِنَّ أَصْلَهُ: الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ، يُقَالَ مِنْهُ: هُوَ طَرِيقٌ نَهْجٌ وَمَنْهَجٌ بَيِّنٌ" (الطبري، **الجامع لأحكام القرآن**، باب في تأويل قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ج10/ص384).

وقال الإمامُ ابنُ كثيرٍ في (تفسيره)ذكرَ (المنهاجَ): "هو الطريقُ الواضِحُ السَّهلُ، والسُّننُ الطرائقُ" (ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، باب في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ج3/ص117)، أي: البيِّنةُ والواضحةُ .

وأمّا (المنهج) في لفظِ(السُّنَّة): ضِمن حديثٍ طويلٍ عَنْ رُؤيا بعضِ الصَّحَابةِ، فقال رسولُ الله ﷺ حيالها: رأيْتَ خَيْرًا وهذا مِن بابِ التَّفاؤل؛ هو يُريدُ أنْ يُعبِّرَ له رُؤياه؛ فَصَدَّر له كلمةَ: رأيْتَ خَيْرًا قبل أنْ يبدأَ بالتَّفصيلِ والشَّـــرحِ والتَّفسير والتَّأويل.

قال ﷺ: رأيْتَ خَيْرًا، أمَّا (المنْهَجُ العَظيمُ)؛ فالـــمَحْشـــر؛ كَمَا وَرَدَتْ كلمةَ (المنهَج) في رِوَايَة: عن عبدِ الله بنِ سَلَّامٍ رضي الله عنه قال: "رأيتُ – على عَهدِ النبيِّ ﷺ – رُؤيا؛ رأيتُ كأنَّ رجلًا أتَاني فقالَ لي: انْطَلِقْ. فذهبتُ مَعهُ؛ فَسَلَكَ بِي (مَنهجًا عَظيمًـــا)" (ابن ماجه، **السنن**، باب : في تعبير الرّؤيا، برقم: 3920).

فالمنهجُ – هنا- بالاسْتعمـــالِ اللُّغوي الصِّـــرف والمحْض؛ وهو: الطريقُ الكبيرُ الواضحُ البَيِّن.

لذلك، فإنّ المنهج هو الطّريق الذي يمكن اتباعه، للوصول إلى هدف معيّن:إنجاز عمل معيّن. وقد يختلف هذا المنهج من عملٍ لآخر، ومن بيئةٍ لأخرى، بل وَمِنْ شخصٍ لآخر.

أمّا المنهجيّة، فهي الطّريق الأفضل لإنجاز عمل(نشاط) مُعَيّن، لذلك الفرد، أو الجمـــاعة في تلك البيئة.

وَنَجدُ كَلِمَة (**منهاج**) في السُّنَّة، والسِّيْرَةِ النَّبوِيَّة مُقْتَرِنَة فِي مَوْعُوْدِ رسول الله ﷺ وَبشَارَتِهِ لنا بكلمةِ **نُبُوَّة**. فهو **منهاج نُبُوَّة**، وهو المنهاج النَّبوي، منهاج تربية ومجاهدة، منهاج ثقافة وحضارة، الّذي قال ﷺ في إحدى الرِّوَايات الثَّلاث المتكاملة بين بعضها البعض:

تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ،

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ (أحمد بن حنبل، **المسند**، برقم: 18406).

وفي الرّواية الثانية: قال رسول الله ﷺ: أَوَّلُ دِينكُمْ نُبوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبَرُوتٌ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الْخَمْرُ وَالْحَرِيرُ قَالَ الدَّارمي: "سُئِلَ عَنْ أَعْفَرَ ؟فقال: يُشَبِّهُهُ بالتُّرَابِ ولَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ" (الدّارمي، **السنن**، باب : ما قيل في المسكر، برقم: 2146).

وفي الرّواية الثالثة: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلاءً يُصِيبُ هَذِهِ الأُمَّةَ، حَتَّى لَا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ، لَا تَدَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا إِلا صَبَّتْهُ مِدْرَارًا، وَلا تَدَعُ الأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئًا إِلا أَخْرَجَتْهُ حَتَّى يَتَمَنَّى الأَحْيَاءُ الأَمْوَاتَ، يَعِيشُ فِي ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ (البغوي، **شرح السُّنّة**، باب: المهدي، برقم: 4280).

فالمنهاج النّبوي بهذا المعنى هو السُّنة النبويّة بمفهومها الشُّمولي، وهو التطبيقَ العملي للشَّريعة، وإنزالَها على أحداث التّاريخ في الإطار الزّماني والمكاني .. الاجتماعي والاقتصادي ... المتغيّر المتطوّر، الّذي تُمثِّل السّيرة النبويّة نموذجًا فذًّا له، لَكِن نَمُوْذَجًا حَيًّا قَابلاً للتَّجَدُّد في رُوْحِه وإنْ تَنَوَّع الشَّكل؛ يقول تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧** ﴾ (سورة الحجرات : 7).

تفعيل المنهجيّة النبويّة للشّهادة الحضاريّة:

بـــين الإشكاليّات .. والإمكانيّات

حَيْثُ لاَ مُشَاحَاة فِي الاِصْطِلاَح، وَمِنْ ثَمَّ فَلاَ ضَيْر بُرْهَة مِنْ اسْتِعْمَـــال كلمة (**منهجيّة**)، الّتي تُتَرْجِمُ معنىً أجنبيًّا؛ تفيد تنظيم أفكار موجَّهة وطرائق عمليّة لاستنباط فكري أو تحليل علمي أو تطبيق في حياة الناس. بيد أنّ الأفضل هو كلمة (**منهاج**) في القرآن والسُّنة؛ للدّلالة بها لا على وساطة المنهاج من حيث كونه جسرًا علميًّا بين الحقّ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبين حياة المسلمين فقط، بل للرّبط به معاني التمسُّك بأمر الله في كتابه، ومعاني الاتباع لسُنَّة رسوله ﷺ في السُّلوك الفردي والجمـــاعي، الخاص والعام، النفسي والخلقي واليومي، العبادي والتّكافلي، الاقتصادي والاجتمـــاعي، **الربَّاني** في كلمةٍ واحدة.

والأمّة المسلمة بمجموعها، أقليّة كانت أم أكثريّة، بحاجة اليوم لاكتشاف المنهجيّة النبويّة؛ كي يسلكوا طريق الإيمـــان والارتقاء إلى الغاية الإحسانية، التي تعني مصيرهم الفردي عند الله في دار الآخرة، وإلى الغاية الاستخلافيّة التي ندبوا إليها وَوَعَدُوا بها متى سلكوا على المنهاج واستكملوا الشّروط .

إنَّهُ طَرِيْقٌ وَاحِدٌ يسمو به العبد إلى الوقوف، بل السّجود، بين يدي ربّه متذلِّلاً مطيعاً باذلاً ماله ونفسه في الله، وتسمو به الأمَّة من كبوتها، وذلّتها في نفسها، وتخلُّفها الحضاري في مختلف المناحي والمجالات والميادين، إلى حيث تنال شرف وراثة من خاطبه الله في سياق آية: ﴿**لِكُلّٖ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةٗ وَمِنْهَاجٗا**﴾ بأنْ يحقِّقَ هيمنة القرآن على كلِّ فكر، وأمر الله على كلِّ أمر ... بالشّهادة الحضاريّة، لقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ**

وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ (سورة الحج:77-78).

هذا كتاب الله بين أيدينا وسُنَّة رسوله ﷺ مُتَأَلِّقَة في الصَّحائف وَفِي ضَمَـائِرِنَا، وفيهمـا الحق كلّه. فكيف نفعل لِنُتَرْجم الكِتَاب والسُّنَّة برنامجًا عمليًّا يُحيي العبد بالإيمـان، ويحيي الأمّة المخاطَبة في القرآن بـِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ حَتَّى تُلَبِّي هذا الخطاب، وتنفِّذَ ما يأتي بعده في آياتِ الله مِنْ أَوَامرٍ إلهيّة تريد منّا الطّاعة لله ﷻ والاتّباع لرسوله ﷺ؛ تَعِدُنا إنْ أطعنا اللهَ واتّبعنا رسولَه أنْ نكون أئمّةً في الأرض؟ (يُنظر: تلوت، **فقه التنزيل عند الإمام ابن تيمية**، كتاب الأمّة، العدد 146).

بين أزمة منهج .. وأزمة فَهْم للمنهج:

إنّ إشاعة، وادِّعَاء أَنَّ أزمة الأُمَّة المسلمة اليوم، أو أزمة العمل الإسلامي، هي أزمة منهج، هكذا بدون تحديد واضح للمصطلحات، وبيان ما هو المقصود بالمنهج، الّذي نُعَانِي مِنْ غِيَابِه، أو أنّ غيابه هو سبب الأزمة؛ هي مساهمة في الغيبوبة والالتباس . إنَّ هذا الادِّعاء، بهذه المجازفة والعموميّة الشّديدة، يحمل من المخاطر والبلايا، والتّضليل الثّقافي، والإلغاء للانتمـاء، والانتهاء للارتـمـاء، واستدعاء (الآخَر)، أو بشكلٍ أَصَحّ استدعاء مناهج (الآخَر)، ما لا يعلم مَدَاهُ إلاّ الله ﷻ .

وهنا قضيّة لابدّ من تحرير القول فيها، ما أمكن، وهي أنّنا إذا كنّا نريد بالمنهج، أنّه بشكلٍ عام هو: منهجيّة النظر والبحث، وعلوم الطّريق الموصلة إلى الهدف، أو بتعبير آخر: أنّ المنهج هو طريق الوصول، يصبح من الضّروري أنْ نُحَدِّد، ما هي الأهداف، الّتي نريد الوصول؛ يصبح مِنْ ثَمَّ، ما هي الوسائل والأدوات والمعارف المطلوبة، لتحقيق هذه الأهداف؟ مع ضرورة الانتباه إلى أهميّة عدم المجافاة بين الوسائل المعتمدة، في مشروعيّتها، والأهداف المرجوّة.

فإنْ كان المقصود هو نظام مسيرة الحياة في هذه الدُّنيا، والأهداف هي سعادة الإنسان، وكرامته، وحياته الطيّبة، في الدنيا والآخرة، وما يتطلَّب ذلك من الوسائل التّربويّة، والأوامر والنّواهي، فَإِنَّ أيَّ ادِّعَاء بأنّ الأزمة التي نعاني منها، أزمة منهج، يُمكن أنْ يُخْرِجَ مِن المِلَّة – والعياذ بالله تعالى – لأنّ الله ﷻ يقول:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ (سورة المـائدة:48-49).

ومن هنا فإنّ الأزمة الّتي نعاني منها، ليستْ أزمة منهج، وإنّمـا أزمة فهم للمنهج، وأزمة تعامل مع المنهج .. أزمة تنزيل للمنهج على الواقع، وتقويمه به.. فالإسلام بِمَصْدَرَيْه: الكتاب والسُّنة، والسِّيْرَة كتنزيلٍ عَمَلِيٍّ وأنموذج، هو المنهج، وأنّ المعايرة للواقع، والتّحديد للخلل، إنّمـا يكون في ضوء الكتاب، والسّنة، والسّيرة، وأنّ أيّ

معاودة للنّهوض، واستئناف السّير، مرهون بتقويم الواقع، بمنهج الكتاب، والسّنة، والسّيرة.. (تقديم عمر عبيد حسنه: برغوث، **المنهج النبوي والتغيير الحضاري**، ص 11- 13، بتصرّف).

وفي الصَّحِيْحَيْن؛ بَيَان أنّ الأزمة هي فِي فَهْمِ المَنْهَج، حديث أبي مسعود ﷺ قال: أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ (البخاري، **الصحيح**، باب: تخفيف الإمام في القيام، برقم: 702 وَ مسلم، **الصحيح**، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصَّلاة، برقم: 466).

فالَّذِي يَسْتَثِيْر غَضَب النبي ﷺ عَلَى رَجُلٍ يُطِيْلُ الصَّلاة حتى يفتن الناس وفيه بادرة لظهور تنطُّع في الأمة؛ مخافةَ أنْ يَتَعَرَّض المنهج الإسلامي لبادرةٍ مِنْ بَوَادِرِ ظُهُوْرِ خَلَل، فكان ﷺ يغضب لتقويمه ولإشعار المسلمين بخطورة القضية لِوَأْدِهَا في مَهْدِهَا.

بين إثبات النّص .. وإعمـــاله:

وتبرز في قضيّة التّعامل مع الحديث أوّل ما تبرز أيضًا مشكلة النَّص والواقع. فحينمـــا يجد الإنسان نصّاً لا يعرف كيف يتعامل معه، أَوْ يُحِسُّ- بالفطرة – بأنّ هذا النّص بالفهم الشّائع له لا يُخاطب واقعه المُعَيَّن، فإنّه إمّا أنْ يحاول تجاوزه، أو أنْ يُؤَوِّلَ أو يلوي عنقه ليستجيب لحاجته أو لِيَكُفَّ عن معارضته. فتبدأ في الظّهور أطروحات عدم الحاجة للسُّنَّة، والاكتفاء بالقرآن، أَوْ إِمْكَانِيَّة – وَرُبَّمَـــا ضَرُوْرَة – تَجَاوُز خَبَر الآحَاد جملة، والاكتفاء بالمتواتر من الأحاديث، أَوْ تَجْمِيد وَتَجَاوُز الأحاديث الّتِي تتعارض مع المصلحة، إلى غير ذلك من الطُّرُوْحَات..

والحقيقة التي ينبغي التأكيد عليها في هذا المجال هي أنّه من غير الممكن إخضاع هذا الدِّين الكامل لرغباتنا أو شهواتنا، بحيث يكون ما نرغبه هو المرجع في هذا السَّبيل. وَإِنَّمَـــا لاَبُدَّ لنا من معرفةٍ تجعلنا قادرين على التَّعَامل المنهجي مع الحديث النبوي. فنعرف على سبيل المثال أنّ هذه السُّنن أنواعٌ، وأنّ بعضها صحيحٌ، وبعضها مُلْزِم، وبعضها موضوع مرفوض (العلواني، **في منهج فهم الحديث الشريف**، من الانترنيت). ولابُدَّ لنا كذلك مِنْ أَنْ نَعْرِفَ المناسبات وَالظُّرُوف الَّتِي قِيْلَتْ فيها هذه الأحاديث؛ فَنَعْرِفُ مقاصدها وغاياتها. ففي الصَّحيحين، مَثَلاً، حديث: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ (البخاري، **الصحيح**، باب: فضل استقبال القبلة، برقم: 392 وَ مسلم، **الصحيح**، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ الله، برقم: 33).

فالَّذي عليه جمهور العلمـــاء والمذاهب أنّ هذا الحديث، بسِيَاق وُرُوْدِه؛ خاصٌّ بالمشركين الوثنيِّين العرب – آنِئِذٍ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّوَوِي هَذَا الرَّأي عن الخطَّابي (النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج**، ص98)، وهذا الذي يتطلَّب فيه فقه التّنزيل فيمـــا يُصْطَلَح عليه **فقه البيان النّبوي** (سمـــاروه، **فقه البيان النّبوي: دراسة تحليليّة في ضوء أسباب النّزول والورود** ، ص98- 110).

بـــين المتشابهات .. و المحكمات:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران:7).

وَلَئِنْ اقتصرتْ هذه الآية الجليلة على ذكر محكمات القرآن الكريم، ففي السُّنة محكمات أيضاً، حتّى إنّ من مشتبهات القرآن الكريم ما لا يُعْرَف معناه إلاّ بالسُّنة، ولذلك وجب فهم القرآن بالسنة. كما أنّ للعقل محكمات أيضاً، أساسها المعارف العقليّة الضّروريّة.

والمحكمات تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: هو المحكمات الإنسانيّة: وهي اليقينيَّات الّتي يُدرك يقينيّتها العقلاء من البشر، من جميع الأديان والأعراق.

الثاني: هو المحكمات الإسلاميّة: وهي اليقينيّات التي لا يصل ليقينيّتها إلاّ مَنْ أيقن بمصدريّة الوحي، وأنّه من عند الله الخالق ﷻ.

فالمحكمات هي: كلّ ثابت بأَدِلَّةٍ يقينيّة، يكون عاصماً للفكر من الانحراف، لشدّة اتقانه وقوّة بنائه الفكري، ويكون الخلل فيه سبباً في إفساد التّفكير. ومن سماتها:

* الثبات وعدم قبولها للزّوال ولا للتبدُّل، وهي محلّ اتّفاق بين العقلاء، وموضع ائتلافِ قلوبٍ بين الأسوياء، كما أنّ أدلّتها قطعيّة يقينيّة، ولَيْسَتْ ظنيّة، وهي أصول كليّة يُحتكم إليها، ومن أهمّ سماتها كذلك أنّها عاصمة للفكر من الانحراف.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"وَالقَضَايَا الّتي يتّفق عليها عقلاء بني آدم لا تكون إلاّ حقّاً، كاتّفاقهم على مدح الصِّدق والعدل، وذمّ الكذب والظُّلم" (ابن تيمية، **الاستقامة**، ج2/ص263).

ففي صحيح مسلم ما يبيِّن هذا المعنى؛ حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرٍ. فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِا للهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً (مسلم، **الصحيح**، باب: علمه ﷺ بالله، برقم: 2356).

وَإِنَّ تثبيت المحكمات الإنسانيّة هو في الحقيقة إرساءٌ لقواعد التعايش الإنساني؛ لأنّه لن يحصل التّفاهم بين بني البشر، ولن يتمّ الالتقاء بينهم على أرضيّة مشتركة بغير الرّجوع إلى تلك المحكمات (يُنظر: العوني، **المحكمات: صمام أمن الأمّة وأساس الثّبات**، سلسلة دعوة الحق، العدد 245).

بين منهج المُلْك .. ومنهج النبوّة:

عندما رأى أبو سفيان ﷺ – قبل أَن يُسْلِم – جموع المسلمين يدخلون مكّة فاتحين، كثمرة للهجرة، قال للعبّاس ﷺ، عمّ الرّسول ﷺ : والله يا أبا الفضل، لقد أصبحَ مُلْكُ ابنِ أخيكَ الغداةَ عظيماً، فكان ردّ العبّاس ﷺ ملفتاً، بقوله:"يا أبا سفيان، إنّها النبوّة"، وليس المُلك.

وقد تكون الإشكاليّة الممتدّة في الحياة الإسلاميّة اليوم تكمن بحضور أبجديّة أبي سفيان في قراءة الأمور والحركة والإنجاز وتغييب رؤية العبّاس عن الذّهنيّة الثقافيّة للمسلم المعاصر، لذلك تجئ القراءات اليوم ثمرة للأبجديّات

المغلوطة، فتورث النّكبات المتتالية، وتفرز القيادات الفاشلة والعاجزة، وتولد الأفكار الملتبسة (حسنه، **أزمة نخبة .. لا أزمة أمّة**، سلسلة على بصيرة، ص 155- 156).

وليس هذا تقليلاً من أهميّة السّلطان للقرآن، والقوّة للحقّ، وأنّ الإسلام دين شامل لجميع جوانب الحياة وأنشطتها، السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة؛ لكن للنبوّة منهجها ووسائلها، وللمُلك والسّلطان السّياسي الخارج عنه منهجه ووسائله أيضاً (حسنه، **منهج النبوّة .. وإشكاليّة النّهوض**، سلسلة على بصيرة، ص96).

ولعلّ أوّل مَا نَلْمَحُ مِنْ منهج النبوة هو (التَّدَرُّج): وذلك في تدرُّج النبوات وتتابعها في تأهيل وتحضير الإنسان إلى مرحلة الرشد، والانتهاء إلى الرسالة الخاتمة.. كما أن مسيرة الرسالة الخاتمة وبناءها للإنسان استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، مرّت بكل الحالات والأحوال والاستطاعات، التي يخضع لها الإنسان، حتى كان الاكتمال فيها لرسالة النبوة ومنهج النبوة التاريخي وبناء الأنموذج، لذلك فاكتمال منهج الأنبياء، هو اكتمال الدين وكماله، فهو ثمرة لِسُنَّة التدرُّج التربوية، السُّنة الجارية في الحياة والأحياء.

إنَّ سنة التدرج من استحقاقات الاستطاعة ولوازمها، وهو أيضاً من أهمِّ الأسس التربوية في بناء الاستطاعة والارتقاء بها، وتعظيم أمر التكليف، والارتقاء به أيضاً.. وهذا هو الأمر الطبيعي والفطري، فالإنسان يتدرج في ارتقاء عضويته وخصائصه وصفاته وملكاته، ولكل مرحلة استحقاقاتها.. والتدرج هو منهج النبوة، منهج اللبنة، فالرسول ﷺ يقول: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ (البخاري، **الصحيح**، باب: خاتم النبيين ﷺ، برقم: 3535 وَ مسلم، **الصحيح**، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيّين، برقم: 2286).

بين ضرورة المنظور الحضاري .. وآفاق الدّور الرّسالي الشّاهد:

إنّ من أشدّ القضايا الكليّة المعاصرة ملامسة لواقع الأمّة المسلمة، وأكثرها إلحاحاً إلى إبراز إطارها الشّرعي والفكري والعقلي والمعرفي والعملي هي (الوسطيّة)؛ ذلك لأنّها منهج شرعي؛ فَبِها مناط الخيريّة، وعليها ينهض بناء الشهود الحضاري. وهي ترسيخ قِيَم التّعدُّديّة والتنوُّع والاختلاف البنّاء في دائرة الفكر الإسلامي، ونشر فلسفة اعتماد مقاصد القرآن الكريم والسُّنة النبويّة و...و ... والتّربية والعمران، وانتهاج أسلوب التّجديد والاجتهاد في فهم الخطاب وتنزيله، ويصير من مقتضيات ضمان الفاعليّة والامتداد أنْ يكون الخطاب الفكري الإسلامي متّصفاً بخصائص فكريّة واضحة المعالم، سواء في علاقته مع الذّات أَمْ في علاقته بدوائر (الفكر الآخر)...

إنّ الاعتدال والوسطيّة **روح الدّين الحنيف**، وهي أَوْلى التّذكير بهذه القيمة المتأصّلة في مختلف مصادر الفكر الإسلامي وأوعيته وبرامجه ومناهجه قياماً بواجب البلاغ، الّذي امتحن الله به **الأمّة** أفراداً وجماعات ومؤسّسات بعيداً عن التّأويلات، الّتي تُشْعِر الرّأي العام بأنّ الفكر الإسلامي خاضع في هذه القضيّة، لإملاءات خارجيّة؛ بينما الحقيقة تشهد بأنّ الدّعوة إلى القيم الوسطيّة والاعتدال هي أصل أصيل في نصوص الوحي وتوجيهات الرّسول ﷺ، ومواقف الصّحابة والعلماء على نهج السّلف الصّالح.

إنّ **الأمّة المسلمة** على الرّغم من ظروفها الرّاهنة وأوضاعها المعقّدة، ما زالتْ قادرة على التّفاعل، وما زالتْ قادرة على مواجهة التحديّات والتصدّي لكلّ أنواع المحاولات التفكيكيّة الّتي تستهدفها باستمرار. والمطلوب هو تقوية

الحسّ الاستخلافي لديها، وتعزيز رسالة الشّهود الحضاري ...، بِالِالْتِحَافِ فِيْهَا بِفُسْحَاتِ الأَمَلِ وَالنَّقْشِ بنفحات التَّفاؤل: .. **رأيْتَ خَيْرًا** ...؛ لتوافُر الإمكان الحضاري والقابليّة للنّهوض، ووضوح خارطة طريق للاستئناف من جديد والانطلاق والإقلاع نحو آفاق الشّهود الحضاري .. فـــفي صحيح مسلم، الحثّ على هذا الانطلاق، قولهﷺ:الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ (مسلم ، **الصحيح**، باب : في الأمر بالقوّة وترك العجز، برقم: 2664).

وَمِنْ هَذَا الـــمُنْطَلَق، فالأمر يتطلَّب تطوير منظور حضاري إسلامي للممـــارسة المعرفيّة والتعليميّة، يسمح بإنتاج معارف وفرضيّات تتناسب ووعي الأمّة ومرحلة تطوّرها وظروفها وواقعها الرَّاهن، كمـــا تؤكّد أصالة هذه الأمّة وذاتيّتها.

ففي زمن الفتن والأزمات تتطلَّب عيناً بصيرة وآذاناً واعية لتجنبها، أو لتجاوزها بأقلِّ قدر من الخسائر، وعدم الهياج والخوض مع الخائضين، والوقوع فريسة للإذاعة والإشاعة،وفقدان المقدرة على الرؤية السديدة.. وثمَّ قولة الصَّحابي عبد الله ابن عمر رضي الله عنهمـــا، عندما عاب عليه بعض الأصحاب عدم الخروج والقتال والمشاركة في الفتنة، أيَّام عبد الله بن الزُّبير، الَّتي عَصَفَتْ بالمسلمين في زمـــانه، وعدم استجابته لقوله تعالى: ﴿ **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة البقرة:193)، فكان جوابه: "قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ" (البخاري، **الصحيح**، باب: قوله: **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ**، برقم: 4513).

إنَّها رؤية مُبَكِّرَة لِلنَّـــفَقِ المظـــلم، الـــمُمْتدّ بتـــداعياته، وَتَـــرَاكم فتنه أكثـــر من أربعة عشر قرناً !

فَهَلْ نُبْصِرُ مَاذَا نَعْمَل؟ وَهَلْ نُبَادِر بِالعَمَلِ الصَّالِح وَعَمَلِيَّات الإصلاح على مســـــتوى (الـــذَّات) و(الآخَـــر)؟ بِمَا ورَدَ في صحيح مسلم، حـــتى نُحـــاصر الفِـــتَـــن؛ اســـتـــجابةً لِقَوْلِ الرَّسُـــول ﷺ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَـــالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ (مسلم، **الصحيح**، باب: الحث على المبادرة بالأعمـــال، برقم: 186).

إنَّ الإصلاح والبناء هو سبيل الخروج من الفتنة، وهو لَوْنٌ من الجهاد حتى لا تكون فتنة، وتفويت الفُرَص على من يساهمون بِسَوْقِ الأمة إلى حَتْفِهَا، لسوء تقديرهم وعدم رؤيتهم للعواقب ومعرفتهم للإمكانات .

لذا ينبغي للمنظور الحضاري في مجال التّعليم وجوانبه أنْ يراعي ثُمَّة ضرورة –على سبيل الإيجاز- (برغوث، **الشهود الحضاري للأمّة الوسط في عصر العولمة**، ص 199، بتصرّف):

- التأكيد على القيم والمنطلقات الأساسيّة للتَّعليم، التي ينبغي أنْ لاَ تَتَعَارض وَقِيَم المجتمع ودينه وثقافته وتراثه وتاريخه.

– التأكيد على ضرورة الوعي الواضح بأحوال المجتمع ومرحلة تطوُّره، ونوعيّة المشكلات والتحديّات التي يعيشها والإمكانات التي يتوفر عليها، والصُّعوبات التي يواجهها، وطبيعة التّوازنات التي تحكمه، وطبيعة الحَسَاسِيَّات الثقافيّة والدينيّة والفكريّة والاجتماعيّة الّتي تُشَكِّل جُزْءاً من نسيجه الاجتماعي.

– التأكيد على ضرورة النّظرة الكليّة الحضاريّة الشّموليّة إلى الأمور بعيداً عن النّظرة التجزيئيّة والانتقائيّة والعاطفيّة؛ للتمكُّن من رؤية الصُّوْرَة التكامليّة للنِّظام التّعليمي، والتَّعَرُّف على مختلف العوامل والأسباب الَّتي تتحكَّم في مسيرته.

كما ينبغي التّركيز للمنظور الحضاري في التّعليم على ضرورة مساهمة التّعليم بفلسفته الحضاريَّة في (برغوث، **الشهود الحضاري للأمّة الوسط في عصر العولمة**، ص 200– 201، بتصرّف):

– رفع وعي الفرد وفهمه إلى مستوى الأحداث العالميّة.

– توجيه وترشيد موقف الفرد وسلوكيّاته بصورة أصيلة وفعّالة.

– إعادة شحذ الفعاليّة الرّوحيّة والفكريّة والاجتماعيّة والثقافيّة والأخلاقيّة والسّلوكيّة للفرد والجماعة.

– تعليم وتربية الفرد والجماعة على قيم رساليّة وتاريخيّة تُحقِّق كينونته التاريخيّة، وتتيح له إمكانيّات الإسهام في التطوّر الحضاري الذّاتي للمجتمع، وفي الإسهام الحضاري في تطوّر الحضارة الإنسانيّة عموماً.

– ضرورة مساهمة التعليم في ضبط الصّلة بين الفرد ودينه وتراثه وتاريخه وحضارته وواقعه وحاضره ومستقبله.

وإذا كان محور المنظور الحضاري في التَّعليم، فَإِنَّ المنوط للاضطلاع به هو الـمُعَلِّم، ويتلخَّص الدَّوْرُ الحضاري والثقافي لِلْمُعَلِّم في **دَوْرَيْنِ مُهِمَّيْن**:

1) دور المربِّي الناقل لِقِيَمٍ حضاريّة وثقافيّة.

2) دور الإنسان الرِّسالي الحامل لِقِيَمِ السَّلام والأمان والتَّسامُح والحوار والتَّعارف العالمي.

ويحتاج الدَّور الحضاري إلى ترسيخ جُمْلَةِ أُمُوْرٍ فِي وَعْيِ الْمُعَلِّم، وفي جوهر الفلسفة التعليميّة وهي:

– ضرورة ترسيخ المنظور الحضاري الكُلِّي الشُّمُولي في تكوين المعلِّم وفي فلسفة التَّعليم.

– ضرورة الالتزام بمصادر المعرفة المتكاملة، الّتي تُشَكِّلُ جزءاً من واقع المجتمعات الإسلاميّة، والّتي تتضمّن الوحي والكون والتاريخ والتجربة والخبرة والفطرة والوجدان، كمصادر ضروريّة لفهم الحياة وبناء الحضارة المتوازنة.

– الرُّجوع إلى أصول ومقوّمات الحضارة الإسلاميّة والثقافة الإسلاميّة والتراث الإسلامي، وترسيخها في أيِّ فلسفة تعليميَّة أو تكوين للمعلِّم.

– الالتزام بقيم عالميّة الإسلام وخطابه الحضاري الإنساني، الّذي يدعو إلى الاجتهاد والإبداع والسّلام والأمان والتّسامح. فكلّ هذه القيم ينبغي أنْ تُرَسَّخَ في وعي المعلّمين لكي يتأهّلوا لأداء دور حضاري.

– ضرورة الانفتاح على التّجارب والإنجازات الحضاريّة الكبرى للحضارة الإنسانيّة، والاستفادة القصوى من هذه المنجزات والتقنيات والخبرات.

- تكوين ثقافة الإحسان إلى الآخرين والتحاور والتعارف معهم كأساس للثقافة التعليميّة، الّتي ينبغي أن تنتشر في بلاد المسلمين؛ لأنّ هذه الثّقافة هي الوحيدة القادرة على تكوين المُعَلِّم، الّذي يستطيع الاضطلاع بالدَّور الحضاري المَنُوْط بِالمُعَلِّمِين الرِّسَالِيِّين (برغوث، **الشهود الحضاري للأمّة الوسط في عصر العولمة**، ص 211).

فإذا كان الأمر بحاجة إلى عمل منهجي منظَّم ومستمرّ، فإنّ ما نحتاجه هو: قيام مؤسّسات تربويّة تفرز نماذج جديدة من العلماء الّذين يُحسنون إبراز معجزة الرّسالة في ميدان العلم، وتكون لهم الكفاءة العلميّة والتّفكير العلمي، اللّذان يؤهّلانهم لاعتلاء المنابر الجديدة، من منابر التلفزة ومحطّات الإرسال الفضائيّة، والطّباعة العالميّة، ويخاطبون الإنسانيّة بأحسن ممّا عندها علماً وفكراً وأدباً (الكيلاني، **أهداف التربية الإسلاميّة في تربية الفرد وإخراج الأمّة وتنمية الأخوّة الإسلاميّة**، ص 161).

إنّ أهميّة بناء المعلّم الرّسالي الشّاهد حضاريّاً؛ تنبع من الضّرورة الحضاريّة لاسترجاع الأمّة الوسط لدورها التّاريخي في إعمار العالم، وتحقيق التّوازن المنشود في مسيرة الحضارة الإنسانيّة. ولهذا السّبب لابدّ من تعزيز موقع التّعليم بكلّ أنواعه ومستوياته في الحركات التّنمويّة الحضاريّة في مختلف البلدان الإسلاميّة.

إنَّ الخَيَار الاستراتيجي المحوري، الّذي ينبغي أنْ يترسَّخ في وعي الناشئة، وفي وعي أمّتنا هي أنّ الطّريق السّليم لإنهاض الأمّة هو طريق العلم والوعي والشّهود الحضاري المؤسّس على العمل المنهجي المخطّط والمتوازن والمتكامل. ولهذا السَّبب، فالأمّة بحاجة إلى أنْ توطِّن نفسها وأبناءها على العمل الثقافي والتّربوي والاجتماعي والعلمي، الّذي يستهدف تخريج إنسان الشّهود الحضاري.

ومن هنا، فالأمّة بحاجة إلى أنْ تضع استراتيجيَّات طويلة الأمد للتنمية البشريّة والتَّنمية الحضاريّة الشّاملة، كما ينبغي دعم الممارسات المتعلّقة بتماسُك المجتمع والسّلام الحضاري والفاعل المُبدِع مع الواقع المحّلي والدّولي المتجدِّد، والتّثقيف والتّربية والتّعليم، كما ينبغي توجيه الأمّة إلى العمل الإيجابي في مختلف المجالات والميادين الاقتصادية والثقافيّة والاجتماعيّة والتقنيّة وغيرها (يُنظر: برغوث، **الشهود الحضاري للأمّة الوسط في عصر العولمة**، ص: 200- 220).

وَيَجْدُر التَّنْوِيه في هذه الخاتمة – على سبيل المثال – بقولة الإمام الطبري (يصف الإمام أحمد) بأنّه مُحَدِّث وليس فقيهًا. ففي بعض المسائل يجد الباحث أنّ للإمام أحمد أربعة وعشرين قولاً (الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج2/ص56)، كما في كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف". وعلى القارئ أن يختار من بين هذه الأقوال. ولقد قيل للإمام:"يا أبا عبد الله، كيف هذا؟ فقال: ما دام الحديث قد صَحَّ عندي؛ فأقول بمقتضاه لا يهمّني بعد ذلك شيء".

فهذا منهج الإمام أحمد، يَتَّبِعُهُ حَتَّى لَوْ تَعَارَضَتْ دلالات الأحاديث، وَتَعَدَّدَتْ- أَوْ تَضَارَبَتْ- الفَتَاوَى إِلَى دَرَجَةٍ كبيرةٍ، لأنّه يرى في ذلك أمانةً وخروجاً من الشُّبهة (يُنظَر: العلواني، **في منهج فهم الحديث الشريف**، من الانترنت).

وَبَدَلاً مِنْ هَذَا الـمَنْهَج الّذي اجتهد به الإمام أحمد، والّذي لا يمكن أنْ نُلْزِمَ عُمُوْمَ الأُمَّة به، فَإِنَّ من الممكن الانتقال إلى منهجٍ يقوم على جمعِ الأحاديث المتعلِّقَة بالموضوعِ الواحد، بحيث يَتَّضِحُ الرَّابط المنهجي بينها، تمهيدًا

لترتيبها زمنيًّا ودراسة أسانيدها للتأكُّد مِنْ مَدَى صِحَّتها، ثم دراسة مُتُوْنَهَا وتحليلها للتأكُّد من عدم وجود شُذُوْذٍ أَوْ عِلَلٍ قَادِحَةٍ فِيْهَا؛ وذلك بغية الاستنباط منها في نهاية هذه العملية البحثية المنهجيّة.

خاتمة البحث

سَيَظَلّ التَّعَامُل مع السُّنة النبويّة الشّريفة قاصرًا في الاتّجاهين (بين إفراط وتفريط)، في حال عدم إدراك المنهجيَّة المقاصديَّة، والقصور عن الإحاطة بالمنهج النّبوي في الحياة والحركة والعمل والدّعوة، وَمِنْ ثمَّ سنرى شرائح مِن الناس تُنْكِر الحديث النبوي، أو تختار منه ما يروق، وتدع ما لا يروق.

وليس الأمرُ أمرَ تَنَازُلٍ لمثل هؤلاء كما قد يظنّ بعض السُّذَّج في هذه الدّعوة إلى المنهاجيّة، وإنّما هو إشفاقٌ على البشريّة من ضياعِ هذا (الكتر النَّبوي)، أو تشويهه وتغيير ملامحه الأصيلة، فلا يَعُوْدَ بعد ذلك تلك الـمَحَجَّة البيضاء، الّتي تركنا عليها رسول الله ﷺ، والّتي أَعْلَمَنَا أنّه لا يزيغ عنها إلاَّ هَالِك ..!.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم . (مصحف المدينة المنوّرة للنشر الحاسوبي). مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
الحديث الشريف. (التخريج بواسطة برنامج المكتبة الشاملة للنشر الحاسوبي الموافق للمطبوع).
ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني.1400. **السُّنة**. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. المكتب الإسلامي. بيروت.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1409. **الاستقامة**. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط2. مكتبة السنة،القاهرة.
ابن حجر، علي بن أحمد. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**.تحقيق: محب الدِّين الخطيب، دار الكتب السلفية.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر. 1419. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين. ط1. دارالكتب العلمية. بيروت.
ابن منظور، محمد بن مكرم. 2003. **لسان العرب**. دار صادر.
بوعود، أحمد. 1421. **فقه الواقع .. أصول وضوابط**. كتاب الأمّة. العدد،75. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر .
العَوني، الشّريف حاتم بن عارف .1432. **المحكمات: صمام أمن الأمّة وأساس الثّبات** .كتاب دعوة الحقّ. العدد، 245. إصدار رابطة العالم الإسلامي.
برغوث، عبد العزيز برغوث .1415. **المنهج النبوي والتغيير الحضاري** .كتاب الأمّة، العدد، 43. ط1. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر .
تلوت، جميلة حسن .1432. **فقه التنزيل عند الإمام ابن تيمية** . كتاب الأمّة. العدد، 146. ط1. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة قطر.
برغوث،عبد العزيز برغوث، 1428. **الشّهود الحضاري للأمّة الوسط في عصر العولمة**، سلسلة روافد، ط1، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة الكويت.
حسنه، عمر عبيد. 1434 .**أزمة نخبة. لا أزمة أمّة**. سلسلة على بصيرة. ط1. المكتب الإسلامي.
حسنه، عمر عبيد. 1435. **منهج النبوّة وإشكاليّة النّهوض**. سلسلة على بصيرة. ط1. المكتب الإسلامي.
سماروه، محمّد بن داود. 1435 .**فقه البيان النّبوي: دراسة تحليليّة في ضوء أسباب النّزول والورود**. سلسلة روافد .ط1. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة الكويت.
الطبري، محمد بن جرير. 1422.**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي .ط1. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
الكيلاني، ماجد عرسان. 1997. **أهداف التربية الإسلاميّة في تربية الفرد وإخراج الأمّة وتنمية الأخوّة الإسلاميّة**. ط1. مؤسّسة انترناشيونال جرافيكس: الولايات المتحدة الأمريكيّة.
الكيلاني، ماجد عرسان. 1997. **أهداف التربية الإسلاميّة في تربية الفرد وإخراج الأمّة وتنمية الأخوّة الإسلاميّة** .ط1. مؤسّسة انترناشيونال جرافيكس: الولايات المتحدة الأمريكيّة.

مصدر من الانترنت

http://www.alrashad.org/issues/04/04-Alwani.htm